مجلة العلوم الإسلامية الدولية

INTERNATIONAL ISLAMIC SCIENCES JOURNAL

eISSN: 2600-7096

AN ACADEMIC QUARTERLY PEER-REVIEWED JOURNAL

مجلة علمية محكمة ، ربع سنوية

Vol :10 Issue : 2 Year : 2026

المجلد: 10 العدد: 2 السنة: 2026

في هذا العدد:

- منهج الحافظ السيوطي في التعامل مع التفسير النبوي في كتابه "الإكليل في استنباط التنزيل": دراسة نظرية تطبيقية
إسماعيل عبد الله النجاي، خالد نبوي سليمان
- الرعاية النفسية للنبي صلى الله عليه وسلم في المرحلة المكية: دراسة موضوعية في ضوء القرآن الكريم
عبد الله بن صالح بن عبد الله الخضيري
- جهود العلماء في التفسير في القرن الثاني الهجري
سامية بنت جريبيع الردادي
- حِكَم النهي في مرويات كتاب الأطعمة والعقيقة والذبائح والصيد والأضاحي من صحيح البخاري: دراسة استقرائية مقارنة بين شراحه
عبدول حميد، فؤاد بوالنعمة
- الخطاب السياسي الإسلامي مفهومه، أهميته، نشأته، وأقسامه
عمر محمد فارح ، خالد حمدي عبدالكريم
- عقد البيع في الفقه الإسلامي ونظام المعاملات المدنية السعودي، دراسة مقارنة
عمر بن عبدالله الزيد، عبدالرحمن عبدالحميد محمد حسانين
- المعاينة القضائية وضوابطها وإجراءاتها في الفقه الإسلامي والقانون القطري
أحمد محمد أحمد رضوان صالح ، عبدالرحمن عبد الحميد محمد حسانين
- التعزير أقله وأكثره: دراسة فقهية قضائية مقارنة بالأنظمة القضائية في المملكة العربية السعودية
جلال الدّين بن أمين بن أحمد الوَرّاقيُّ
- أسباب نقض الأحكام القضائية في الفقه الإسلامي والنظام السعودي
إبراهيم فراج الفراج، صلاح عبدالتواب
- ربط الدّين بالذهب: دراسة فقهية واقتصادية
الحسن سيد أحمد الحبيب، عبد الرحمن نوات
- مسلك الإتيوبي في دفع التعارض بين الأدلة الشرعية عن طريق الجمع
حسن محمد خلاوي، صلاح عبد التواب
- الصناديق الوقفية في وزارة الشؤون الإسلامية بالمالديف: دراسة فقهية
إسماعيل رياض، أنيس الرحمن منظور الحق
- نظرة تأصيلية عن متلازمة إدواردز وحكم إجهاض الجنين المصاب بها
أشيل عبد الله، صلاح عبد التواب
- أثر تطبيق مقاصد الشريعة في تحقيق معايير جودة مخرجات التعلم الأكاديمية
عمر محفوظ عبدالرحمن باجبير، عبد الله عبيد سعيد مؤمن
- دور القدرات التكنولوجية في تعزيز الأداء المؤسسي: دراسة تطبيقية على قطاع الاتصالات بالمملكة العربية السعودية خلال الفترة (2024–2025م) من منظور إسلامي معاصر
محمد حنفي محمد نور تبيدي ، نوال عبد الله أحمد بلال
- التعلم اللحني في تدريس قواعد النحو العربي بالمرحلة الابتدائية: إطار مفهومي ورؤية تربوية متجددة
السيد عادل السيد حسن، أمل محمود علي
- الدراسات الإسلامية كتخصص أكاديمي عالمي تحليل مقارن للمناهج والنماذج المؤسسية والتحولات المعاصرة
شجاعت أحمد قريشي
- الدور المؤسسي والشرعي في مواجهة خطاب التطرف
بنان صبيحي، محمد السيد البساطي
- دور فقيهة العصر في الحفاظ على هوية المجتمع الإسلامية
جميلة أبو سيف الجندي
- مكة المكرمة وعالمية التنوع الاجتماعي والثقافي وأثرهما في العمل الدعوي: دراسة تحليلية
يحيى بن ابراهيم بن يحيى التقي، محمد السيد البساطي
- الردع السياسي في الدولة العمرية: مقاربة جيو–استراتيجية في أنساق ما قبل الحداثة
حسام وليد غفوري السامرائي، إبراهيم محمد البيومي
- الفرق المنتسبة إلى الإسلام في السويد: دراسة تحليلية
عبدالرحمن المطيري، إبراهيم محمد البيومي

تصدرها

PUBLISHED BY

كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية

FACULTY OF ISLAMIC SCIENCES

AL-MADINAH INTERNATIONAL UNIVERSITY

جامعة المدينة العالمية

Al-Madinah International University

eISSN 2600-7096

9 772600 709003

International Islamic Sciences Journal
Vol. 10, Issue. 2, June 2026
eISSN: 2600-7096
Al-Madinah International University
Copyright © 2026 Yahya Bin Ibrahim Bin Yahya Althugbi &
Mohamed Al-Sayed Al-Besatti
Manuscript Received Date: 13/05/26 | Manuscript Acceptance Date: 03/06/26 | Manuscript Published Date: 30/06/26

DOI: https://doi.org/10.63226/iisj.v10i2.5986

مكة المكرمة وعالمية التنوع الاجتماعي والثقافي وأثرهما في العمل الدعوي: دراسة تحليلية[1]

[Makkah al-Mukarramah and the Global Nature of Social and Cultural Diversity and Their Impact on Da'wah Work: An Analytical Study[2]]

Yahya Bin Ibrahim Bin Yahya Althugbi[1] & Mohamed Al-Sayed Al-Besatti[2]

[1]Associate Professor in Faculty of Islamic Sceinces, Al-Madinah International University, 57100, Taman Desa petaling, Kuala Lumpur, Malaysia.
[2]Associate Professor in Faculty of Languages, Sultan Idris Education University, 35900 Tanjong Malim, Perak, Malaysia.

* Corresponding Author: Yah7772@gmail.com

الملخص

تَعدّ مكة المكرمة نموذجا فريدا في البناء الاجتماعي والثقافي الإنساني، حيث تتجلى فيها أبعاد العالمية من خلال توافد المسلمين من شتى بقاع الأرض لأداء الحج والعمرة، الأمر الذي أفرز بيئة اجتماعية وثقافية متنوعة قل نظيرها في العالم، وقد أسهم هذا التنوع في تشكيل نسيج اجتماعي مركب، تتفاعل فيه اللغات والثقافات والعادات، ضمن إطار ديني موحَّد، مما يجعل مكة المكرمة ميدانا حيا لدراسة أثر العالمية والتنوع الاجتماعي والثقافي في توجيه العمل الدعوي، حيث يعدّ العمل الدعوي من أهم مجالات التأثير الاجتماعي، إذ يهدف إلى تبليغ رسالة الإسلام وتعزيز القيم الدينية والأخلاقية، غير أن نجاحه في بيئة متعددة الثقافات يتطلب فهما عميقا لخصائص المجتمع، واستيعابا لطبيعة التنوع الذي يميزه، مما أسهم في تكوين مجتمع متنوع الثقافات والأعراق. إن تميز مهبط الوحي ومنبع الرسالة بكونها بيئة عالمية تتلاقى فيها الشعوب والثقافات ضمن إطار إسلامي جامع، مما يجعلها نموذجا فريدا للعمل الدعوي متعدد الثقافات، غير أن ضعف استحضار هذه الخصائص في التطبيق العملي للدعوة المعاصرة يؤدي إلى قصور في الخطاب والأساليب، ويحدّ من قدرة العمل الدعوي على مواكبة الواقع العالمي المتغير. وفي ظل هذا التنوع، تبرز الحاجة إلى دراسة علمية تُحلل أثر عالمية مكة المكرمة وتنوعها الاجتماعي والثقافي في تشكيل ملامح العمل الدعوي وتوجيه مساراته، تم تقسيم

1 وهذه الدراسة مأخوذة من رسالة الدكتوراه للطالب / يحيى بن إبراهيم يحيى الثقبي: بعنوان – العمل الدعوي للجمعيات الأهلية بمكة المكرمة وسبل تطويره – بجامعة المدينة العالمية، كلية العلوم الإسلامية قسم الدعوة وأصول الدين، بإشراف الدكتور المشارك محمد السيد البساطي

2 This study is extracted from the doctoral dissertation of the student Yahya bin Ibrahim Yahya Al-Thaqabi, entitled: "Da'wah Activities of Charitable Associations in Makkah al-Mukarramah and Means of Their Development", submitted to Al-Madinah International University, Faculty of Islamic Sciences, Department of Da'wah and Fundamentals of Religion, under the supervision of Associate Professor Dr. Muhammad Al-Sayyid Al-Basati.

الدراسة إلى مبحثين، سلكت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وقد خرجت الدراسة بنتائج وتوصيات من أهمها: أن هذا الموضوع يمثل مجالًا غنيا بالمعطيات العلمية والدلالات الدعوية التي تكشف عن خصوصية البيئة المكية وتميزها عن غيرها من البيئات، أظهرت الدراسة أن مكة المكرمة ليست مجرد إطار جغرافي، بل هي منظومة اجتماعية وثقافية عالمية تتشكل من خلال التدفق المستمر للزوار لأداء الحج والعمرة، الأمر الذي أسهم في إيجاد مجتمع متعدد الثقافات، متجدد البنية، ومتفاعل مع مختلف الأنماط الإنسانية، وهذا التنوع لم يكن عامل تباين فحسب، بل تحول إلى عنصر إثراء أسهم في توسيع آفاق العمل الدعوي وتطوير أدواته، كشفت نتائج البحث عن أن الخصائص الاجتماعية لمكة – وفي مقدمتها العالمية، والتنوع الثقافي، والاستمرارية الزمنية للحضور البشري – تعدّ عوامل حاكمة في توجيه العمل الدعوي، من حيث صياغة الخطاب، واختيار الوسائل، وتحديد الأولويات، وقد فرض هذا الواقع على العمل الدعوي أن يتسم بالمرونة، والشمول، ومراعاة الفروق الثقافية، مع التركيز على القيم الإسلامية المشتركة.

الكلمات المفتاحية: مكة المكرمة – عالمية التنوع – الاجتماعي والثقافي – العمل الدعوي.

ABSTRACT

Makkah al-Mukarramah represents a unique model in the social and cultural structure of humanity, where the dimensions of globalism are manifested through the influx of Muslims from all parts of the world to perform Hajj and Umrah. This phenomenon has produced a remarkably diverse social and cultural environment unparalleled in many parts of the world. Such diversity has contributed to the formation of a complex social fabric in which languages, cultures, and customs interact within a unified religious framework. Consequently, Makkah has become a living field for studying the impact of globalism and socio-cultural diversity on directing and shaping da‘wah work. Da‘wah work is considered one of the most significant areas of social influence, as it aims to convey the message of Islam and promote religious and moral values. However, its success within a multicultural environment requires a profound understanding of the characteristics of society and an awareness of the nature of the diversity that distinguishes it, which has contributed to the emergence of a society characterized by cultural and ethnic plurality. The distinctiveness of the birthplace of revelation and the source of the Islamic message lies in its status as a global environment in which peoples and cultures converge within a comprehensive Islamic framework, making it a unique model for multicultural da‘wah work. Nevertheless, the weak consideration of these characteristics in the practical application of contemporary da‘wah has led to deficiencies in discourse and methods, limiting the ability of da‘wah work to keep pace with the changing global reality. In light of this diversity, there is a need for a scientific study that analyzes the impact of the global nature of Makkah and its social and cultural diversity on shaping the features of da‘wah work and directing its paths. The study was divided into two sections and adopted the descriptive-analytical method. The study reached several findings and recommendations, the most significant of which are that this topic represents a rich field of scientific data and da‘wah implications that reveal the uniqueness of the Makkan environment and distinguish it from other environments. The study demonstrated that Makkah al-Mukarramah is not merely a geographical framework; rather, it is a global social and cultural system shaped through the continuous flow of visitors performing Hajj and Umrah. This has contributed to the emergence of a multicultural society characterized by structural renewal and interaction with various human patterns. This diversity was not merely a factor of difference; rather, it became an enriching element that contributed to broadening the horizons of da‘wah work and developing its tools. The findings also revealed that the social characteristics of Makkah—most notably its global nature, cultural diversity, and the continuity of human presence over time—constitute governing factors in directing da‘wah work in terms of formulating discourse, selecting methods, and determining priorities. This reality has imposed upon da‘wah work the need for flexibility, comprehensiveness, and consideration of cultural differences, while focusing on shared Islamic values.

Keyword: Makkah al-Mukarramah – Global Diversity – Social and Cultural Diversity – Da‘wah Work

مقدمة البحث:

عاشت القبائل العربية قبل ظهور الإسلام في مجتمع تقليدي تحكمه الأعراف القبلية، وكانت الروابط العشائرية تمثل الأساس في تنظيم الحياة الاجتماعية، وقد تأثرت هذه الحياة بعوامل متعددة، منها البيئة الصحراوية، والاقتصاد المحدود، وغياب سلطة مركزية موحدة.

اعتمد المجتمع العربي على القبيلة كوحدة أساسية، حيث وفّرت الحماية والانتماء لأفرادها، وكان الولاء للقبيلة فوق كل اعتبار، وظهرت ظاهرة العصبية القبلية التي تعني نصرة الفرد لقبيلته سواء كانت ظالمة أو مظلومة.

يمكن القول إن المجتمع العربي قبل الإسلام كان مجتمعا قبليا تقليديا يعاني من العديد من المشكلات الاجتماعية والثقافية، رغم ما تميز به من قيم نبيلة، وقد جاء الإسلام ليحدث تحولًا جذريا في هذه البنية، من خلال إرساء مبادئ العدالة والمساواة، وتنظيم العلاقات الاجتماعية على أسس أخلاقية ودينية.

إن النظام الاجتماعي والثقافي في حركته لم يشذ عنه الإسلام، فمكة هي البقعة التي انبلج منها هذا الدين، وانفلقت فيه نواته الأولى، حيث تَعدّ مكة المكرمة نموذجا اجتماعيا وثقافياً فريدا في العالم الإسلامي، حيث تتداخل الأبعاد الدينية والاجتماعية والاقتصادية لتشكّل نسقًا ثقافيا.

أسهم هذا النسق في إنتاج ثقافة مهنية متوارثة عبر الأجيال، تحمل في طياتها أبعادا دعوية عميقة تتجاوز حدود الممارسة الوظيفية إلى بناء صورة حضارية للإسلام.

إن العمل الدعوي من أشرف الأعمال مكانة وأجلها قدراً؛ فهي وهي وظيفة الأنبياء، وصبغة الأتقياء، فالعمل الدعوي حياة للقلوب، ونقاء للنفوس، وسعادة في الدارين.

إن الدعوة إلى الله هي السبيل لنيل مرضاة الله، والوصول إلى وصف الخيرية التي امتدح الله بها هذه الأمة فقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴿١١٠﴾﴾[آل عمران:110]

مشكلة البحث:

إن تميز مهبط الوحي ومنبع الرسالة بكونها بيئة عالمية تتلاقى فيها الشعوب والثقافات ضمن إطار إسلامي جامع، مما يجعلها نموذجا فريدا للعمل الدعوي متعدد الثقافات، غير أن ضعف استحضار هذه الخصائص في التطبيق العملي للدعوة المعاصرة يؤدي إلى قصور في الخطاب والأساليب، ويحدّ من قدرة العمل الدعوي على مواكبة الواقع العالمي المتغير.

بالإضافة إلى ذلك مشكلة التعامل مع الأفراد والجماعات في الالتزام بالشعائر التعبدية في المسجد الحرام، إنها ليست مجرد إشكال تنظيمي، بل هي قضية تربوية وثقافية ودعوية تتطلب معالجة شاملة، حيث يجتمع ملايين المسلمين من خلفيات ثقافية واجتماعية ولغوية متعددة، هذا التنوع الكبير ينعكس على مستوى فهم الشعائر التعبدية والالتزام بها، مما يفرز إشكالات عملية في كيفية التعامل مع الأفراد والجماعات أثناء أداء العبادات، سواء من حيث السلوك أو التطبيق الصحيح للأحكام.

وفي ظل هذا التنوع، تبرز الحاجة إلى دراسة علمية تُحلل أثر عالمية مكة المكرمة وتنوعها الاجتماعي والثقافي في تشكيل ملامح العمل الدعوي وتوجيه مساراته.

ويعدّ استلهام المنهج النبوي في الرفق والتعليم والتدرج أساسا في التعامل مع هذه الظاهرة، إلى جانب توظيف الوسائل الحديثة والتخطيط المؤسسي، بما يحقق التوازن بين أداء الشعائر في أجواء من السكينة، والمحافظة على النظام العام داخل الحرم.

تتمثل مشكلة البحث في محاولة الإجابة عن التساؤل الرئيس:

كيف تؤثر عالمية مكة المكرمة وتنوعها الاجتماعي والثقافي في توجيه العمل الدعوي؟

أهداف البحث:

يسعى هذا البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف، من أبرزها:

1. التعرف على طبيعة الأثر الاجتماعي والثقافي لمدينة مكة المكرمة.
2. تحليل مظاهر التنوع الثقافي والاجتماعي في المجتمع المكي.

أهمية البحث:

تنبع أهمية البحث من عدة اعتبارات، من أهمها:

1- إثراء الدراسات المتعلقة بالعلاقة بين البناء الاجتماعي والعمل الدعوي، خاصة في البيئات العالمية.

2- مساعدة الدعاة والمؤسسات الدعوية على تطوير أساليبهم بما يتناسب مع التنوع الثقافي.

3- ارتباط الدراسة ببيئة مكة المكرمة التي تمثل مركزا عالميا مؤثرا في العالم الإسلامي.

4- مواكبة التحولات العالمية التي تفرض على العمل الدعوي الانفتاح والتكيف مع التعدد الثقافي.

منهج البحث:

يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، وذلك من خلال: عرض طبيعة الأثر الاجتماعي والثقافي لمدينة مكة المكرمة، ومظاهر العالمية والتنوع الاجتماعي والثقافي فيها، دراسة أثر هذه الخصائص في توجيه العمل الدعوي، بغية الوصول إلى نتائج علمية تسهم في تطوير العمل الدعوي في البيئات المتنوعة اجتماعياً وثقافيا.

الدراسات السابقة:

1. ثقافة تعظيم البلد الحرام، إعداد / عبد الله رزيق الحازمي، لنيل درجة الماجستير من جامعة أم القرى –كلية الدعوة وأصول الدين، جاءت لتعالج غياب ثقافة تعظيم البلد الحرام مما أدى إلى ضعف استشعار هذه الشعائر عند بعض قاطنيه وكذلك عند بعض قاصدي البلد الحرام، وقد كانت الدراسة في ثلاثة فصول.
2. الهدي النبوي في البلاغ والتعليم، إعداد / عصام بن سعد بن محمد العبد الكريم، لنيل درجة الماجستير من جامعة الملك سعود، كلية التربية.

مشكلة البحث: لم يحدد الباحث مشكلة البحث، فقد تكون مشكلة البحث في الفجوة بين التنظير والتطبيق للهدي النبوي في البلاغ والتعليم، منهج الباحث: استخدم الباحث المنهج الوصفي معتمداً في ذلك على النظر والتأمل، ثم الاستنباط، وقد جاءت الدراسة في أربعة أبواب كل باب له عدة فصول.

3. منهج الدعوة الإسلامية في البناء الاجتماعي على ضوء ما جاء في سورة الحجرات، دراسة بحثية لنيل درجة الماجستير من قسم الحسبة ووسائل الدعوة، بالمعهد العالي للدعوة الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، إعداد / محمد بن محمد الأمين الأنصاري.

ولقد كان الهدف من ذلك البحث: دراسة منهج الدعوة الإسلامية في تربية المجتمع المسلم، من خلال تصنيف السورة إلى موضوعات؛ ليكون البناء الاجتماعي مرتب الحلقات.

كما كانت تلك الدراسة مميزة في عرض السلوكيات التي تضعف البناء الاجتماعي وتؤثر فيه، والعلاج القرآني لتلك السلوكيات الخاطئة.

4. العلاقات الاجتماعية في القرآن الكريم، إعداد / عماد عادل مسعود أبو مغلي، لنيل درجة الدكتوراه من جامعة اليرموك، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم أصول الدين.

مشكلة البحث: نظراً للتوسع الذي يشهده العصر الحديث في شتى مناحي الحياة؛ وما فرضه هذا التوسع من ظروف انعكست على الأفراد وتشابكت العلاقات الاجتماعية، وشابها الكثير من الاضطراب، لذا جاءت هذه الدراسة لمعالجة هذه الفجوة.

وقد جاء البحث في ثلاثة فصول، وكل فصل يشتمل على مباحث يندرج تحتها مطالب.

5. بعض معالم المجتمع الإسلامي من سورة الأحزاب، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة جامعة الملك عبد العزيز، إعداد الباحث / عبد الوهاب لطف زيد الديلمي، 1397-1398هـ/1977-1978م، هدفها: إرساء قواعد المجتمع الإسلامي الذي دعت إليه سورة الأحزاب بما لا بد منه لنجاح الدعاة في إقامة المجتمع المثالي، وإصلاح لبعض الأوضاع الداخلية.

وأفاد الباحث من هذه الدراسة من حيث: اهتمامها ببناء المجتمع الإسلامي، إذ اشتملت على كثير من الأسس التي يقوم عليها بناء مجتمعي شامخ من خلال التوجيهات القيمة، والآداب الكريمة؛ لإصلاح البناء الداخلي للمجتمع وفق منهج الدعوة الإسلامية.

6. السنن الاجتماعية في القرآن الكريم وعملها في الأمم والدول، دراسة تأصيلية تطبيقية على الأمم المسلمة والكافرة، تأليف الأستاذ الدكتور/ محمد أمحزون، الطبعة الأولى، 1432هـ. 2011م.

وتهدف الدراسة إلى: التنبؤ بما سيحدث في مجتمع ما من خلال سلوك ذلك المجتمع من أنماط سلوكية؛ لأن هذا الكون محكوم بسنن ثابتة، صارمة، ومطردة، وأورد الكاتب بعض السنن العامة والسنن الخاصة بالمؤمنين، والسنن الخاصة بالكافرين، ووضع مقارنة بين شروط تلك السنن وموانعها.

وقد أفاد الباحث من تلك الدراسة: الاهتمام بفقه سنن الاجتماع في القرآن الكريم بالقدر الذي نهتم به بآيات الأحكام.

7. المنهج النبوي والتغيير الحضاري، تأليف برغوث عبد العزيز بن مبارك، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، الطبعة الأولى 1415هـ -1955م.

هدف الدراسة: الاقتداء بسيرة الرسول ﷺ، وأهمية المنهج النبوي في البناء الحضاري؛ وذلك لما للوعي بهذا المنهج من فقه بصير، وإدراك عميق، يستمد وجوده ووعيه وأصوله من معيار الوحي الإلهي، وتدعو الدراسة إلى: النظرة الكلية للسنة النبوية وطبيعتها الحضارية، مع إبراز أبعاد المنهج النبوي: كالبعد التوحيدي، والبعد المقاصدي، والبعد البلاغي (الدعوة)، والبعد السنني.

المبحث الأول: طبيعة الأثر الاجتماعي لمدينة مكة المكرمة

إنَّ الإطارَ المفاهيميَّ للأثرِ الاجتماعيِ يُعَدُّ منطلقًا منهجيًّا لفهمِ طبيعة التفاعلِ بين الأحكامِ الشرعية والبناء المجتمعي، وما يترتَّب على ذلك من آثار سلوكية وقيمية تُسهم في تحقيقِ مقاصد الشريعة في حفظِ الدينِ والنفسِ والعقلِ والنسلِ والمال، وهو: مجموع التأثيرات التي تُحدثهَا بيئة معينة في سلوك الأفراد، وعلاقاتهم، وقيمهم، وأنماط تفاعلهم داخل المجتمع، وفي حالة مكة المكرمة، فإن هذا الأثر يتسم بخصوصية نابعة من اجتماع عوامل دينية، وثقافية، وتاريخية، واقتصادية في آن واحد.

تشغل مكة المكرمة مكانة فريدة في الوعي الإسلامي والإنساني، فهي مركز ديني عالمي يتجه إليه المسلمون من مختلف بقاع الأرض، ومجالٌ حيٌّ لتفاعل اجتماعي متجدد، وقد أسهمت هذه الخصوصية في تشكيل أثر اجتماعي عميق ومركب، لا يقتصر على حدودها الجغرافية، بل يمتد إلى العالم الإسلامي بأسره.

يعدّ فهم طبيعة هذا الأثر مدخلًا أساسيا؛ لتحليل بنية المجتمع المكي، واستيعاب دوره في توجيه العمل الدعوي والاجتماعي.

المطلب الأول: طبيعة الأثر الاجتماعي لمكة قبل الإسلام:

لقد تنافست العرب في السيادة على الكعبة، فسادتها خزاعة، لكنها لم تستفد منها كما يجب، حتى نشأ قصي بن كلاب،

" فكان قصي أول ولد كعب بن لؤي أصاب ملكا أطاع له به قومه، فكانت إليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء، فحاز شرف مكة كله، ويزعم الناس أن قريشا هابت قطع شجر الحرم في منازلهم، فقطعها قصي بيده، وأعانوه، فسمته العرب مجمعا لما جمع من أمرها، وتيمنت بأمره، فما تنكح امرأة ولا رجل من قريش إلا في دار قصي بن كلاب، وما يتشاورون في أمر ينزل بهم إلا في داره" [1]

لم تفد مكة في الجاهلية بكونها مدينة تجارية وحضارية بل كانت فضلاً عن ذلك مركزاً دينياً يؤمه في المواسم كثيرا من القبائل العربية، إلا أن مكانها من الحرم كان يجلب إليها عدداً كبيراً من الخارجين عن نطاق قبائلهم، من ذوي المطامع الجريئة التي كانت تدفعهم أحياناً إلى غزو الحرم فينهبون حتى الكعبة، ولم يكن أولئك الخارجون عن قبائلهم كالغفاريين المشهورين بالتلصص ونهب المسافرين حتى الحجاج منهم، فسموا (سراق الحجيج)، وبنو غفار من قبيلة كنانة لم يكونوا وحدهم في تلك المنطقة، بل هناك بنو أسلم من قبيلة خزاعة، وهي لا تقل عن الأولى في شيء.

كانت قبيلة غفار – على وجه الخصوص – تعرف قبل الإسلام باعتراض طرق القوافل، نظرا لموقعها الجغرافي القريب من طرق التجارة والحج، وهو ما جعل هذا السلوك جزءا من نمطها المعيشي، وكذلك قبيلة أسلم التي جاورتها وشاركتها في بعض هذه العادات.

غير أن هذا الواقع لم يكن ثابتا، بل تغير جذريا بفضل حكمة النبي ﷺ وحسن تعامله.

---

1 الطبري، محمد بن جرير، **تاريخ الطبري**، ط2، ج2، ص 258 _ 259.

فقد ورد عن الصحابة رضوان الله عليهم في وصف حالهم قبل الإسلام، مثل قول جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه أمام النجاشي: "فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جاهليَّة نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ، حَتَّى بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا: إِلَى اللهِ تَعَالَى لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَ بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ: الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ. وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ"[1]

وبناء على ذلك، يمكن القول إن المرحلة الجاهلية مثلت بيئة تتسم باضطراب في القيم وضيق في سبل العيش، وهو ما يبرز بجلاء حجم التحول الحضاري الذي أحدثه الإسلام، إذ نقل المجتمع العربي من حالة التفرق والضيق إلى الوحدة والاستقرار، ومن الانحراف إلى الاعتدال، مؤسسا بذلك بناء اجتماعيا جديدا قائما على التوحيد والعدل.

المطلب الثاني: طبيعة الأثر الثقافي لمكة قبل الإسلام

تمثل مكة المكرمة قبل الإسلام مركزا حضاريا متميزا في شبه الجزيرة العربية، إذ اجتمعت فيها عناصر دينية واقتصادية واجتماعية أسهمت في تشكيل أثر ثقافي واضح في البيئة العربية في عدة جوانب، منها:

1. الإطار العام للثقافة المكية قبل الإسلام، تشكّلت الثقافة في مكة ضمن سياق قبلي تقليدي، يعتمد على الأعراف والعادات المتوارثة، مع حضور واضح للبعد الديني المرتبط بتعظيم الكعبة المشرفة، التي كانت تعد مركزا دينيا للعرب، رغم ما شاب هذا التعظيم من انحرافات عقدية.

2. البعد الديني وتأثيره الثقافي:

كانت مكة مركزا دينيا للعرب، حيث تشدّ الرحال إلى الكعبة، مما أسهم في ترسيخ مفهوم القداسة والرمزية الدينية، انتشار بعض الممارسات الدينية المختلطة بين التوحيد والشرك، تشكيل وعي ديني عام، وإن كان غير منضبط بالعقيدة الصحيحة.

عن أَبِي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عَامِرِ بْنِ لُحَيٍّ الْخُزَاعِيَّ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ»[2].

ينظر إلى عمرو بن لحي في المصادر الإسلامية كمثال على الانحراف العقدي الذي سبق بعثة الإسلام، إذ يروى أنه كان قويا ذا نفوذ، لكنه غير الدين عن جهل بما رآه في الأمم الأخرى، ورغم نفوذه التاريخي، ارتبط اسمه في الذاكرة الإسلامية بالسعي وراء المظاهر الدينية الباطلة، مما جعله رمزا للضلال قبل بعثة النبي ﷺ، "وكان عمرو بن ربيعة أول من غير دين إبراهيم – عليه الصلاة والسلام"[3].

---

1 ابن حنبل، أحمد بن محمد، **مسند أحمد**، تتمة مسند الأنصار، ط1، ج37، ص173، حديث 22498.

2 عبد الباقي، محمد فؤاد، **اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان**، كتاب الجنة والنار، النار يدخلها الجبارون، د.ط، ج3، ص294، الحديث 1816.

3 الفارسي، محمد بن أحمد، **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**، الباب الحادي والثلاثون، ذكر أول من ولي البيت من خزاعة، ط1، ج2، ص61.

3. الأثر الأدبي: تميَّزت مكةُ المكرمة ضمنَ البيئة العربية قبل الإسلام بكونها حاضنة للحراك الأدبي والثقافي، حيث ازدهر فيها الشعر العربي بوصفه وعاء للتعبير الثقافي والاجتماعي، وميدانا لإبراز البلاغة والفصاحة التي نشأت نتيجة التفاعل والاحتكاك بين القبائل العربية الوافدة إليها، أدى إلى نقل القيم والتقاليد بين تلك القبائل، وقد أسهمت الأسواق العربية القريبة، مثل سوق عكاظ، في تنشيط الحركة الأدبية وتعزيز التبادل الثقافي.

ولم يكن هذا الأثر متجانسا؛ بل حمل في طياته مزيجا من القيم الإيجابية والعادات السلبية، مما جعل مكة بيئةَ مهيأة لتحول حضاري كبير مع بعثة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

دلالات الأثر الثقافي في التمهيد للتحول الإسلامي:

كان لهذا الأثر الثقافي دور مهم في تهيئة المجتمع المكي لاستقبال الإسلام، حيث ساعدت الفصاحة والبلاغة على فهم القرآن الكريم، وهيأت بعض القيم الإيجابية (كالكرم والوفاء) لتقبل الأخلاق الإسلامية.

كان عبد الله بن جدعان التيمي من أشهر رجال قريش في الجاهلية بالكرم والسخاء، حتى ضرب به المثل في إطعام الطعام وإكرام الضيف، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ؛ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! ابْنُ جُدْعَانَ، كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ. وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ «لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ»[1].

يتضح أن مكة قبل الإسلام لم تكن بيئة جامدة، بل كانت مجتمعا حيويا يمتلك رصيدا ثقافيا متنوعا، جمع بين الإيجابيات والسلبيات.

وقد أسهم هذا الواقع في تهيئة الأرضية لتحول حضاري عميق مع ظهور الإسلام، الذي أعاد توجيه تلك الثقافة نحو التوحيد والاعتدال، ومن هنا، فإن دراسة الأثر الثقافي لمكة قبل الإسلام تعدّ مدخلاً مهما لفهم طبيعة التحول الذي أحدثه الإسلام في المجتمع العربي.

المطلب الثالث: المنهج النبوي وأثره في تشكيل البناء الاجتماعي والثقافي

أولاً: المنهج النبوي وأثره في تشكيل البناء الاجتماعي

يعدّ المنهج النبوي في بناء المجتمع من أعظم النماذج التاريخية التي قدّمت تصورا متكاملًا لإعادة تشكيل الإنسان والمجتمع على أسس راسخة من القيم الإيمانية والأخلاقية، فقد استطاع المبعوث رحمة للعالمين ﷺ أن يُحدث تحولًا جذريا في بنية المجتمع العربي، ناقلًا إياه من حالة التفرق والصراع إلى مجتمعٍ متماسك يقوم على العدل، والتكافل، والتراحم.

وقد تميز هذا المنهج بكونه لم يقتصر على الجوانب الوعظية أو التعبدية فحسب، بل امتدّ ليشمل مختلف أبعاد الحياة الاجتماعية؛ حيث أعاد تشكيل منظومة القيم، وضبط العلاقات بين الأفراد، وأرسى قواعد التعايش والتعاون، بما يضمن تحقيق الاستقرار الاجتماعي، كما اعتمد على أساليب تربوية عميقة، من أبرزها: القدوة العملية، والحوار، والتدرج في التغيير، ومراعاة الفروق الفردية والثقافية.

---

1 القشيري، مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمل، د.ط، ج1، ص196، الحديث 214.

اعتمد النبي ﷺ في دعوته لقبيلتي أسلم وغفار على جملة من الأساليب التربوية والدعوية، كان من أبرزها الدعاء الإيجابي، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «غِفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا، وَأَسْلَمُ سَالَمَهَا اللَّهُ»[1]، وهو دعاء يحمل في طياته الثقة بإمكانية التغيير، ويشعر القبيلتين بالتقدير والاحتواء بدلَ الإدانة والإقصاء، وهذا الأسلوب له أثر نفسي عميق، إذ يحول نظرة الإنسان إلى ذاته من الانحراف إلى إمكانية الصلاح.

كما تجلّى في تعامله ﷺ معهما مبدأ الاحتواء بدل المواجهة، فلم يعاملهم على أنهم خصوم دائمون، بل فتح لهم باب الانتماء إلى المجتمع الإسلامي، مما أتاح لهم فرصة إعادة تشكيل هويتهم الاجتماعية على أسس جديدة قائمة على الإيمان والأخلاق.

ومن الجوانب المهمة أيضا تحويل الطاقة السلوكية؛ فبدل أن تبقى هذه القبائل تمارس السلب والاعتداء، وجهها النبي ﷺ إلى أدوار إيجابية، فصار أفرادها من المشاركين في الغزوات، والمساهمين في حماية المجتمع الإسلامي، بل ومن الناقلين للدعوة، وهذا التحول يعكس فقها عميقا في استثمار الطاقات البشرية بدل إهدارها

كما أسهم تعزيز الانتماء الإيماني في ترسيخ هذا التغيير، حيث أصبح الانتماء للإسلام بديلاً عن الانتماء القبلي الضيق، مما غير منظومة القيم والسلوك لديهم، فبعد أن كانت المصلحة الفردية أو القبلية هي المحرك، أصبحت القيم الدينية والأخلاقية هي الضابط الأساسي للسلوك.

وقد أثمر هذا المنهج النبوي عن نتائج واضحة؛ إذ تحولت قبيلتا أسلم وغفار إلى عنصر إيجابي في المجتمع الإسلامي، وساهمتا في نشر الأمن بدل الإخافة، وفي خدمة الحجيج بدل الاعتداء عليهم. وهذا التحول لم يكن مجرد تغيير سطحي، بل هو تحول قيمي وسلوكي شامل.

وفي ضوء ذلك، يمكن القول إن تجربة النبي ﷺ مع أسلم وغفار تقدم نموذجا تطبيقيا في العمل الدعوي يقوم على الرحمة، وحسن الظن، واستثمار الطاقات، وبناء الانتماء، وهو ما يجعلها تجربة قابلة للاقتداء في معالجة الانحرافات السلوكية في المجتمعات المعاصرة.

إن تغيير سلوك قبيلتي أسلم وغفار لم يتحقق بالقوة أو الإكراه، بل بمنهج نبوي حكيم جمع بين الدعاء، والاحتواء، والتوجيه، وبناء القيم، مما أدى إلى انتقالهما من مصدر تهديد إلى ركيزة من ركائز الأمن والاستقرار في المجتمع الإسلامي.

عن عبد الرحمن بن أبي بكرة يحدث عن أبيه؛ أَنَّ الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ قَالَ: لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنَّمَا بَايَعَكَ سُرَّاقُ الْحَجِيجِ، مِنْ أَسْلَمَ وَغِفَارَ وَمُزَيْنَةَ – وَأَحْسَبُهُ – وجهينة – ابن أَبِي يعقوب شَكَّ – قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ أَسْلَمُ وغفار ومزينة – وَأَحْسَبُهُ – وجهينة خيرا من بني تَمِيمٍ، وبني عامر، وَأَسَدٍ، وغَطَفَانَ، خابوا وخسروا). قَالَ نعم، قَالَ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُمْ لَخَيْرٌ مِنْهُمْ)[2].

ثانيا: المنهج الشرعي وأثره في تشكيل البناء الثقافي

1 القشيري، **مسلم بن الحجاج**، كتاب فضائل الصحابة، باب دعاء النبي ﷺ لغفار وأسلم، د.ط، ج4، ص1955، الحديث 2522.

2 البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، كتاب المناقب، باب ذكر أسلم، وغفار، ط5، ج3، ص 1294، رقم الحديث 3325.

يمثل المنهج النبوي في الإصلاح والتغيير أحد أعظم النماذج التاريخية في إعادة بناء الإنسان والمجتمع، حيث استطاع المبعوث رحمة للعالمين عليه أفضل الصلاة والتسليم أن يحدث تحولًا جذريا في البنية الاجتماعية والثقافية للعرب، ناقلًا إياهم من حالة التفكك القيمي والاضطراب الثقافي إلى مجتمع متماسك قائم على التوحيد والأخلاق والعدل.

وقد اتسم هذا المنهج بالشمول والتوازن، إذ لم يقتصر على معالجة الجانب العقدي، بل شمل مختلف أبعاد الحياة الثقافية، حيث كان تأثيره في جميع المجالات الثقافية، منها:

1. بناء منظومة القيم: ينطلق الوحي في بناء قيم الإنسان وتربيتها من خلال مقاصد الشريعة وغاياتها، وفق ما ارتضاه سبحانه لعباده، حيث تمتاز الشريعة بامتلاكها منهجاً محكماً في ضبط هذه القيم، وتتجلّى هذه القيم في ضوء الخصائص الكلّية التي امتازت بها الشريعةُ الإسلاميةُ، ومن أبرزها كونُها ربّانيةَ المصدر؛ إذ تستمدُّ أصولَها وأحكامَها من الوحيِ الإلهيِ المعصوم، الأمر الذي أكسبها صفة الكمال والثبات والصلاحية لهداية الناس وتحقيق مصالحهم في مختلف الأحوال والأزمان

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»[1].

تصحيح المفاهيم الثقافية: تعتمد الشريعة على الوحيين القرآن والسنة كمصدرين أساسين لتقويم المفاهيم، مما يمنح عملية التصحيح صفة الثبات والموضوعية، توجه الثقافة من المعتقدات الخاطئة إلى العقيدة الصحيحة، مما أدى إلى إصلاح الفكر والسلوك.

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ لِي: «يَا عَدِيُّ اطْرَحْ هَذَا الْوَثَنَ مِنْ عُنُقِكَ» قَالَ: فَطَرَحْتُهُ، وَقَالَ: وَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ، وَهُوَ يَقْرَأُ سُورَةَ بَرَاءَةَ فَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿اتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١﴾[التوبة: ٣١].

قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ؟ فَقَالَ: «أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَتَسْتَحِلُّونَهُ؟» قَالَ: قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: «فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ»[2].

إن موقف النبي ﷺ مع عدي بن حاتم الطائي نموذج تربوي عميق في تصحيح المفاهيم العقدية، حيث جمع بين الحكمة، والوضوح، والإقناع العقلي، وقد أسهم هذا المنهج في نقل عدي من تصور قاصر للعبادة إلى فهم شامل للتوحيد، مما يؤكد أن إصلاح الفكر هو المدخل الحقيقي لإصلاح السلوك.

2. تعزيز قيمة العلم والمعرفة: جعل الإسلام العلم أساسا للنهوض، فكان لذلك أثر في نشوء حركة علمية واسعة.

قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤﴾ [طه:114]، "بالقرآن ومعانيه، وقيل ما أمر الله رسوله بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم"[3].

---

1 البخاري، محمد بن إسماعيل، **الأدب المفرد**، ط2، ص104، رقم الحديث 273.

2 البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، **السنن الكبرى**، باب ترك الحكم بتقليد أمثاله من أهل العلم، د.ط، ص209، رقم الحديث 261.

3 النسفي، عبد الله بن أحمد النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، سورة طه، ط3، ج2، ص385

تَعدّ هذه الآية منهجا تربويا متكاملاً في بناء شخصية المسلم، إذ تجمع بين طلب العلم، والتواضع، والاستمرار في التعلم، وهي تذكير دائم بأن طريق المعرفة لا ينتهي، وأن أعظم ما يطلبه الإنسان هو العلم الذي يهديه إلى الحق ويصلح به نفسه ومجتمعه.

إن المنهج الشرعي كان مشروعا حضاريا متكاملاً أسهم في إعادة تشكيل البناء الاجتماعي والثقافي للمجتمع الإسلامي، وأثبت قدرته على إحداث تغيير عميق ومستدام.

ومن ثم، فإن الالتزام بهذا المنهج في الواقع المعاصر يعدّ ضرورة لبناء مجتمعات متوازنة قادرة على مواجهة التحديات، مع الحفاظ على هويتها وقيمها.

المبحث الثاني: الخصائص الاجتماعية والثقافية لمكة المكرمة في توجيه العمل الدعوي:

تعتبر مكة المكرمة مركزا دينيا عالميا، ومهوى أفئدة المسلمين من شتى بقاع الأرض، مما يمنحها خصوصية اجتماعية فريدة تنعكس بصورة مباشرة على طبيعة العمل الدعوي فيها، فالبيئة الاجتماعية في مكة ليست بيئة محلية خالصة، بل هي بيئة مركبة تجمع بين المحلي والعالمي، التقليدي والمعاصر، الدائم والمؤقت.

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [آل عمران:96]، "أَنَّ هذَا الْبيت لَمَّا كَانَ أَوَّلَ بَيْت وُضِعَ للْهُدَى وإعْلَان توْحيد اللَّه ليَكُونَ علَما مشْهُودا بالْحسّ علَى معْنَى الْوَحْدَانيَّة ونَفْيِ الْإشْرَاك، فَقَدْ كَانَ جَامعا لدَلَائِل الْحَنيفيَّة"[1].

ومن هنا تبرز أهمية دراسة الخصائص الاجتماعية لمكة وأثرها في توجيه العمل الدعوي، من حيث مضمونه، وأدواته، ووسائله، وأولوياته.

المطلب الأول: مكة المكرمة عالمية التنوع والثقافة

إن من الأمكنة التي فازت بالحظ الأوفر في الفضل والعظمة، مكة المكرمة، أم القرى، منبع الوحي، ومهد الرسالة، لا يجهل فظلها ومكانتها أحدٌ من المسلمين.

لذا تَعد مكة المكرمة مركزا عالميا فريدا يجمع بين القداسة الدينية والتنوع البشري، فهي ليست مجرد مدينة ذات طابع محلي، بل فضاء إنساني تتلاقى فيه الشعوب والثقافات ضمن إطار ديني موحَّد، وترتبط عالميتها بكونها قبلة المسلمين ومهوى أفئدتهم، حيث يفد إليها الملايين سنويا لأداء الحج والعمرة، وقد أسهم هذا التدفق المستمر في تشكيل بيئة ثقافية متنوعة انعكست آثارها على البناء الاجتماعي والعمل الدعوي.

أولاً: عالمية مكة المكرمة تتجلى في كونها مهبط الوحي ومنطلق الرسالة الإسلامية التي وجهت خطابها إلى البشرية كافة، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سبأ:28]، ولذلك ارتبطت مكة برسالة عالمية تحمل قيم التوحيد والعدل والرحمة.

ومن الناحية الاجتماعية، أفرزت هذه العالمية مجتمعا يتسم بالانفتاح والمرونة والقدرة على التفاعل مع مختلف الشعوب، كما انعكس ذلك على طبيعة العمل الدعوي في مكة، الذي يتطلب مراعاة التنوع الثقافي واللغوي، واعتماد خطاب يتسم بالشمول والوسطية.

وبناء على ذلك، فإن عالمية مكة المكرمة ليست مجرد وصف مكاني، بل هي منظومة حضارية ودعوية متكاملة، جعلت منها مركزا عالميا للتواصل الإنساني، ونموذجا فريدا لوحدة الأمة الإسلامية رغم تنوعها الثقافي والاجتماعي، حيث تعني عالمية مكة تجاوزها للحدود الجغرافية والقومية لتصبح مركزا جامعا للأمة الإسلامية، وتتجلى هذه العالمية في عدة مظاهر:

1- الوحدة الدينية: اجتماع المسلمين حول الكعبة المشرفة باعتبارها قبلة واحدة.

---

1 ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، سورة آل عمران، د.ط، ج7، ص176.

إنها وحدة الوجهة الدينية، التي يجتمع فيها المسلمون من مختلف أنحاء العالم حول الكعبة المشرفة، بما يعكس وحدة العقيدة رغم تنوع الأعراق واللغات، قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ ﴿١٤٤﴾﴾ [البقرة:144]، "وهكذا وحد الله هذه الأمة، وحدها في إلهها ورسولها ودينها وقبلتها، وحدها على اختلاف المواطن والأجناس والألوان واللغات، ولم يجعل وحدتها تقوم على قاعدة من هذه القواعد كلها؛ ولكن تقوم على عقيدتها وقبلتها؛ ولو تفرقت في مواطنها وأجناسها وألوانها ولغاتها، إنها الوحدة التي تليق ببني الإنسان؛ فالإنسان يجتمع على عقيدة القلب، وقبلة العبادة."[1]

2- الاستمرارية الزمنية: تدفق الزوار على مدار العام دون انقطاع.

قال تعالى: ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ ﴿٣٧﴾﴾[إبراهيم:37]، روي عن مجاهد: "لو قال أَفئدة الناس لزحمتكم عليه فارس والروم، وقيل: لو لم يقل من لازدحموا عليه حتى الروم والترك والهند"[2].

لذا تتميز مكة المكرمة بخصوصية فريدة تتمثل في الاستمرارية الزمنية لتدفق الزوار إليها على مدار العام دون انقطاع، وهو ما يجعلها حالة استثنائية في الدراسات الاجتماعية والدعوية.

فبينما ترتبط كثير من المدن الدينية بمواسم محددة، تظل مكة حاضرة في وعي المسلمين يوميا، حيث يقصدها الملايين لأداء الحج والعمرة، إضافة إلى الزيارات الفردية المستمرة، مما يخلق حركة بشرية دائمة ذات أبعاد عالمية.

3- التنوع البشري: حضور مختلف الأعراق واللغات والثقافات في مكان واحد، وهذا يجعل مكة نموذجا حيا للعولمة الدينية ذات البعد الروحي.

إن من أبرز الخصائص الاجتماعية لمكة أنها مدينة عالمية تستقبل ملايين الحجاج والمعتمرين سنويا، مما يجعلها بوتقة تنصهر فيها ثقافات متعددة، ولغات مختلفة، ومستويات علمية متباينة، هذا التنوع يفرض على العمل الدعوي أن يتسم بما يلي:

1-التعدد اللغوي: ضرورة تقديم الدعوة بلغات متعددة لتصل إلى مختلف الجنسيات.

2-المرونة الثقافية: مراعاة اختلاف الخلفيات الثقافية عند عرض المفاهيم الشرعية.

3-التركيز على القواسم المشتركة: إبراز أصول الإسلام الجامعة بدل الخوض في الجزئيات الخلافية.

المطلب الثاني: أبرز مظاهر العالمية والتنوع الاجتماعي والثقافي في مكة المكرمة

تحتل مكة المكرمة مكانة فريدة في العالم الإسلامي، فهي ليست مجرد مدينة دينية، بل تمثل مركزا عالميا تتقاطع فيه الشعوب والثقافات ضمن إطار عقائدي موحَّد، وتتجلى عالميتها في كونها قبلة المسلمين ومهوى أفئدتهم، حيث يفد إليها الملايين سنويا لأداء الحج والعمرة.

وقد أفرز هذا التوافد المستمر بيئة اجتماعية وثقافية متعددة الأبعاد، جعلت من مكة نموذجا حيا للتنوع الإنساني في أرقى صوره.

أولاً: العالمية بوصفها سمة بنيوية لمكة المكرمة: تتجلى عالمية مكة في عدة مظاهر أساسية، من أبرزها:

---

1 الطبري، محمد بن جرير، **تاريخ الطبري**، ط2، ج2، ص 258_259،

2 الزمخشري، محمود بن عمر، **تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، سورة إبراهيم، ط3، ج2، ص 559.

1 . الاستمرارية الزمنية للتدفق البشري: لا تنقطع حركة الوفود إلى مكة على مدار العام، مما يرسخ طابعها العالمي الدائم، وليس الموسمي فحسب.

2 . التمثيل العالمي للأمة الإسلامية: تُمثّل مكة صورة مصغّرة للعالم الإسلامي، حيث توجد فيها مختلف الجنسيات، فتتحول إلى فضاء إنساني جامع.

ثانياً: مظاهر التنوع الاجتماعي في مكة المكرمة

1 . التنوع العرقي: يضم المجتمع المكي أفرادا من أصول عرقية متعددة، سواء من السكان الأصليين أو المقيمين أو الزوار، مما يعزز التعددية الاجتماعية.

2. التفاوت في المستويات الاقتصادية: يوجد في مكة أفراد من مختلف الطبقات الاقتصادية، يجتمعون في أداء الشعائر دون تمييز، مما يرسخ مبدأ المساواة.

3. التباين في الخلفيات التعليمية: تتفاوت مستويات التعليم والمعرفة بين الأفراد، مما ينعكس على أنماط التفكير والسلوك.

4. التفاعل بين المحلي والعالمي: يمتزج السكان المحليون مع الزوار، مما يخلق تفاعلاً اجتماعيا مستمرا يسهم في تبادل الخبرات.

ثالثاً: مظاهر التنوع الثقافي في مكة المكرمة

1 . التنوع اللغوي: تعد مكة بيئة متعددة اللغات، حيث تستخدم عشرات اللغات في التواصل، مما يعكس ثراء ثقافيا واسعا.

2. اختلاف العادات والتقاليد: يحمل الزوار عاداتهم وتقاليدهم المختلفة، مما يؤدي إلى تفاعل ثقافي يثري المجتمع.

3 . التنوع في أنماط التدين: تتفاوت أساليب التعبير عن التدين تبعا لاختلاف المدارس الفقهية والثقافات الإسلامية.

4. التعدد في أنماط السلوك: تنعكس الخلفيات الثقافية المختلفة في سلوكيات الأفراد داخل المجتمع، خاصة في مواسم الزحام.

رابعاً: آثار العالمية والتنوع على البناء الاجتماعي

أسهمت هذه المظاهر في تشكيل مجتمع مكي يتميز بعدة خصائص، منها:

الانفتاح الثقافي: نتيجة الاحتكاك المستمر بثقافات متعددة.

المرونة الاجتماعية: القدرة على التكيف مع أنماط مختلفة من السلوك.

تعزيز قيم التسامح: التعايش مع اختلافات متنوعة.

الثقافة الخدمية: نشوء تقاليد اجتماعية قائمة على خدمة الزوار.

خامساً: الأبعاد الدعوية للعالمية والتنوع

- أثّرت هذه المظاهر بشكل مباشر في العمل الدعوي، حيث:
- أصبح الخطاب الدعوي عالميا متعدد اللغات.
- برزت الحاجة إلى تبسيط المفاهيم الشرعية لتناسب الجميع.
- تعززت أهمية العمل الدعوي بالسلوك في ظل اختلاف اللغات.
- ظهرت ضرورة مراعاة الفروق الثقافية في التوجيه والإرشاد.

المطلب الثالث: العالمية والتنوع الثقافي في مكة المكرمة وأثرهما الاجتماعي في تشكيل العمل الدعوي

إن العالمية والتنوع الثقافي لم يعودا مجرد سياق خارجي للعمل الدعوي، بل أصبحا عنصرين مؤثرين في تشكيله وتوجيهه، فكلما أدرك الداعية طبيعة هذا التنوع، وأحسن التعامل معه، استطاع أن يقدم رسالة الإسلام بصورة أكثر فاعلية وعمقاً.

ومن هنا، فإن تطوير العمل الدعوي في العصر الحديث يتطلب الانتقال من الطابع المحلي إلى الأفق العالمي، مع الحفاظ على أصالة الرسالة ومرونتها في آن واحد.

أولاً: مظاهر العالمية والتنوع الثقافي في ميدان الدعوة، يتجلى هذا الأثر في عدة صور، من أبرزها:

تعدد جنسيات المدعوين واختلاف لغاتهم، تنوع مستويات الفهم الديني والمعرفي، اختلاف العادات والتقاليد المؤثرة في تلقي العمل الدعوي، تعدد الوسائط المستخدمة في الدعوة (مباشرة، رقمية، إعلامية).

ثانياً: أثر العالمية والتنوع الثقافي في توجيه العمل الدعوي

1. تطوير الخطاب الدعوي ليكون عالميا، أصبح من الضروري أن يتسم العمل الدعوي بالوضوح والبساطة والبعد عن التعقيد، التركيز على القيم الإنسانية المشتركة (كالعدل، والرحمة، والتسامح)، تجنب الطرح المحلي الضيق الذي قد لا يفهمه الآخرون.
2. التعدد اللغوي والتواصلي: يفرض التنوع الثقافي ضرورة إعداد دعاة يتقنون لغات متعددة، استخدام وسائل ترجمة فعالة، وظيف التقنيات الحديثة في إيصال الرسالة.
3. مراعاة الفروق الثقافية: يتطلب نجاح الدعوة، فهم الخلفية الثقافية للمدعوين، تجنب الصدام مع العادات ما لم تخالف أصول الشريعة، استخدام أساليب مناسبة لكل بيئة.
4. تعزيز الدعوة بالسلوك في البيئات متعددة الثقافات، يصبح السلوك العملي أبلغ من القول، ومن ذلك: حسن التعامل، الصبر والرفق، تقديم المساعدة للآخرين.
5. استثمار البيئات العالمية ذات التأثير الروحي في أماكن مثل المسجد الحرام، تكون النفوس أكثر تقبلاً، مما يعزز أثر الرسالة الدعوية، ويجعلها أكثر رسوخا.

ثالثا: التحديات التي يفرضها التنوع الثقافي على العمل الدعوي.

رغم الفرص الكبيرة، يواجه العمل الدعوي عدة تحديات، منها:

صعوبة التواصل بسبب اختلاف اللغات، احتمال سوء الفهم نتيجة اختلاف الخلفيات الثقافية، التباين في مستوى الالتزام والفهم الديني، خطر التعميم أو إسقاط ثقافة معينة على الجميع.

رابعاً: آليات تطوير العمل الدعوي في ظل العالمية والتنوع الثقافي

1. التأهيل العلمي والثقافي للدعاة، من خلال تدريبهم على مهارات التواصل بين الثقافات.
2. توظيف التكنولوجيا الحديثة، كالمنصات الرقمية والتطبيقات متعددة اللغات.
3. بناء خطاب دعوي وسطي، يراعي الثوابت الشرعية ويستوعب التنوع الثقافي.
4. تعزيز العمل المؤسسي، بما يضمن التنظيم والتخطيط والتكامل في الجهود الدعوية.

نتائج البحث:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تتحقق المقاصد والغايات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إن نتائج هذا البحث لا تقتصر على توصيف الواقع، بل تمتد لتقديم مؤشرات علمية تسهم في تطوير العمل الدعوي، وتعزيز فاعليته في ظل التحولات المعاصرة، بما يحقق مقاصد الشريعة في إصلاح الإنسان والمجتمع.

بعد استعراض الجوانب المتعلقة بموضوع مكة المكرمة وعالمية التنوع الاجتماعي والثقافي وأثرهما في العمل الدعوي: دراسة تحليلية، يتبين ما يلي:

1- إن هذا الموضوع يمثل مجالًا غنيا بالمعطيات العلمية والدلالات الدعوية التي تكشف عن خصوصية البيئة المكية وتميزها عن غيرها من البيئات.

2- أظهرت الدراسة أن مكة المكرمة ليست مجرد إطار جغرافي، بل هي منظومة اجتماعية وثقافية عالمية تتشكل من خلال التدفق المستمر للزوار لأداء الحج والعمرة، الأمر الذي أسهم في إيجاد مجتمع متعدد الثقافات، متجدد البنية، ومتفاعل مع مختلف الأنماط الإنسانية، وهذا التنوع لم يكن عامل تباين فحسب، بل تحول إلى عنصر إثراء أسهم في توسيع آفاق العمل الدعوي وتطوير أدواته.

3- كشفت نتائج البحث عن أن الخصائص الاجتماعية لمكة – وفي مقدمتها العالمية، والتنوع الثقافي، والاستمرارية الزمنية للحضور البشري – تَعدّ عوامل حاكمة في توجيه العمل الدعوي، من حيث صياغة الخطاب، واختيار الوسائل، وتحديد الأولويات، وقد فرض هذا الواقع على العمل الدعوي أن يتسم بالمرونة، والشمول، ومراعاة الفروق الثقافية، مع التركيز على القيم الإسلامية المشتركة.

إن البيئة المكية تمثل نموذجا تطبيقيا متقدما للعمل الدعوي في البيئات العالمية، حيث تتقاطع فيها التحديات والفرص، مما يبرز أهمية تطوير خطاب دعوي واعٍ يستلهم المنهج النبوي، ويستجيب لمتطلبات التنوع الثقافي، ويستثمر الأبعاد الروحية والاجتماعية لمكة المكرمة في تحقيق التأثير الإيجابي.

REFERENCES (المصادر والمراجع)

[1] Ahmad ibn al-Husayn ibn Ali al-Bayhaqi. (n.d.). Al-Sunan al-Kubra, (vol. n.p.). (Edited by Muhammad Diya' al-Rahman al-A'zami, ed.) Kuwait: Dar al-Khulafa' al-Kitab al-Islami..

[2] Ahmad ibn Hanbal. (1421 AH - 2001 CE). Musnad Ahmad, Supplement to Musnad al-Ansar, 1st ed., vol. 37, p. 173, hadith 22498. (vol. 1). (Edited by Shu'ayb al-Arna'ut et al., ed.) Riyadh: Mu'assasat al-Risalah..

[3] Isma'il ibn Ibn Kathir. (1420 AH - 1999 CE). Tafsir al-Qur'an al-'Azim. Riyadh: Dar Tayyibah.

[4] Hamdi Shu'ayb. (Ramadan, 1424 AH - 2003 CE). Qutuf Tarbawiyah. Al-Bayan Magazine

[5] Sa'id ibn 'Abd Allah al-Baydawi. (1418 AH). Anwar al-Tanzil wa Asrar al-Ta'wil. Beirut: Dar Ihya' al-Turath.

[6] Abd al-Rahman ibn Muhammad ibn Khaldun. (1408 AH - 1988 CE). Diwan al-Mubtada' wa al-Khabar fi Tarikh al-'Arab. Beirut: Dar al-Fikr

[7] Abd al-Rahman Nasir al-Sa'di. (1420 AH - 2000 CE). Taysir al-Karim al-Rahman fi Tafsir Kalam al-Mannan. Beirut: Mu'assasat al-Risalah.

[8] Abdullah ibn Ahmad ibn Mahmud al-Nasafi. (1419 AH - 1998 CE). Tafsir al-Nasafi: Madarik al-Tanzil wa Haqa'iq al-Ta'wil, Surah Ta-Ha, 3rd ed., vol. 2, p. 385 (vol. 3). (Edited by Yusuf Ali Badawi, editor). Beirut: Dar al-Kalim al-Tayyib.

[9] Muhammad al-Tahir ibn Ashur. (1404 AH - 1984 CE). Al-Tahrir wa al-Tanwir (vol. n.d.). Tunis: Al-Dar al-Tunisiyyah.

[10] Muhammad ibn Abi Bakr ibn Qayyim al-Jawziyyah. (n.d.). Bada'i' al-Fawa'id. Beirut: Dar al-Kutub.

[11] Muhammad ibn Ahmad al-Farisi. (1421 AH - 2000 CE). Shifa' al-Gharam bi-Akhbar al-Balad al-Haram (Vol. 1). Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyya.

[12] Muhammad ibn Isma'il al-Bukhari. (1409 AH - 1989 CE). Al-Adab al-Mufrad (Vol. 2). (Edited by Muhammad Fu'ad 'Abd al-Baqi). Cairo: Dar al-Basha'ir al-Islamiyya.

[13] Muhammad ibn Isma'il al-Bukhari. (1414 AH - 1993 CE). Sahih al-Bukhari (Vol. 5). (Edited by Mustafa Dib al-Bugha). Damascus: Dar Ibn Kathir.

[14] Muhammad ibn Jarir al-Tabari. (1387 AH - 1967 CE). Tarikh al-Tabari (Vol. 2). (Edited by Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim). Egypt: Dar al-Ma'arif.

[15] Muhammad ibn Hamad al-Suwayan. (1424 AH - 2000 CE). The Prophet's Biography as Narrated in Authentic Hadiths. Riyadh: Al-Obaikan Library.

[16] Muhammad Fuad Abdul-Baqi. (1407 AH - 1986 CE). Pearls and Coral: What the Two Sheikhs Agreed Upon (Volume n.d.). Cairo: Dar al-Hadith.

[17] Mahmud ibn Umar ibn Ahmad al-Zamakhshari. (1407 AH - 1987 CE). Al-Kashshaf Commentary on the Obscure Truths of the Revelation, Surah Ibrahim, Part 2, p. 559 (Volume 3). Cairo: Dar al-Rayyan for Heritage.

[18] Muslim ibn al-Hajjaj al-Qushayri. (1374 AH - 1955 CE). Sahih Muslim. Beirut: Dar Ihya al-Turath al-Arabi.

[19] Muslim ibn al-Hajjaj al-Qushayri. (1374 AH - 1955 CE). Sahih Muslim (Volume n.d.). Beirut.

[20] Nabil Muhammad al-Samalouti. (1418 AH - 1998 CE). The Islamic approach to studying society in Islamic sociology. Saudi Arabia: Dar Al-Shorouk.

TRANSLITERATION

a. Consonant

Arabic	Latin	Example	
		Arabic	Latin
ء	ʾ	فَأر	faʾrun
أ	(a,i,u)	أَحكَام	aḥkām
ب	b	باب	bābun
ت	t	تَمْر	tamr
ث	th	ثَلَاث	thalātha
ج	j	جبل	Jabal
ح	ḥ	حَديث	ḥadīth
خ	kh	خَالدْ	khālid
د	d	دين	dīn
ذ	dh	مذهب	madhhab
ر	r	رَاهبٌ	rāhib
ز	z	زَكيٍ	zakī
س	s	سلام	salām
ش	sh	شَرب	sharaba
ص	ṣ	صدر	ṣodrun
ض	ḍ	ضار	ḍār
ط	ṭ	طَهر	ṭahura
ظ	Ẓ	ظَهر	ẓhohr
ع	ᶜ	عبدٌ	ᶜabdun
غ	gh	غَيب	ghayb
ف	f	فَاتَحَةٌ	Fātihah
ق	q	قَبس	qabas
ك	k	كَتَابٌ	kitāb

ل	l	لَيل	layl
م	m	مُنير	munīr
ن	n	نِقابٌ	niqāb
و	w	وعد	waᶜada
ه	h	هدفٌ	hadaf
ي	y	يوسف	Yūsuf

b. Short Wovel

Arabic	Latin	Example	
		Arabic	Latin
ـَ	a	كَتب	kataba
ـِ	i	عِلم	ᶜalima
ـُ	u	غُلب	ghuliba

c. Long Wovel

Arabic	Latin	Example	
		Arabic	Latin
ا ، ى	ā	عالَم ، فتى	ᶜālam , fatā
ي	ī	عليم ، داعي	ᶜalīm , dāᶜī
و	ū	عُلوم ، اُدعو	ᶜulūm , ʼudᶜū

d. Diphthong

Arabic	Latin	Example	
		Arabic	Latin
أَو	aw	أَولَاد	aulād
أَي	ay	أَيَّام	ayyam
إي	iy	إيَّاكَ	iyyāka